

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٧٦٤ : خ ١ - وسائل تقوية الإيمان٤ ، خ ٢ - خطبة قاضي دمشق محي الدين القرش يوم فتح القدس على يد صلاح الدين .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-١٠-٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمنه، ونستعين به ونسترشده، ونعود به من شرور أنفسنا وسیئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلن تجد له ولیاً مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وعلى ذريته، ومن والاه، ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

التنوع بين العبادات و القربات و الطاعات يجعل الإنسان مع ربه دائمًا :

أيها الأخوة الكرام، هذه الخطبة الرابعة والأخيرة في سلسلة خطب ضعف الإيمان، بينت في أول خطبة مظاهر ضعف الإيمان، وفي الخطبة الثانية أسباب ضعف الإيمان، وفي الخطبة الثالثة علاج ضعف الإيمان، وقلت وقتها للموضوع صلة، وهأنذا أتابع بنود معالجة ضعف الإيمان. أيها الأخوة الكرام، من فضل الله علينا أن العبادات في الإسلام منوعة، والإنسان حينما ينوع عباداته يبعد عن نفسه السأم، ولعل هذه العبادة تقربه أكثر من هذه العبادة، فكلكم يعلم أن في الإسلام عبادات بدنية كالصلوة، وهناك عبادات مالية كالزكاة، وهناك عبادات تجمع بين البدنية والمالية كالحج، وهناك عبادات باللسان كالذكر والدعاء، والعبادة الواحدة كالصلوة مثلاً تتوزع بين الفرائض والسنن المستحبة، والسنن الراطبة، وهناك فرائض ثنائية، وثلاثية، ورباعية.

هناك قاعدة في الدراسة تقيدنا في هذا الموضوع، الطالب إذا أراد أن ينتج إنتاجاً كبيراً في دراسته، ينبغي أن ينوع الكتب، فكلما قرأ فصلاً من كتاب، انتقل إلى كتاب آخر، هذا يبعده عن السأم، ويقربه من هدفه أكثر، فيما أيها الأخوة الكرام للجنة أبواب كثيرة، وكل عبادة باب من أبواب الجنة، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دُعي

من باب الصدقة، وكلم يعلم أن سيدنا الصديق رضي الله عنه حينما سأله النبي عليه الصلاة والسلام:

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا قَالَ أَبُو بَكْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا قَالَ فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً قَالَ أَبُو بَكْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا قَالَ فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا قَالَ أَبُو بَكْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا قَالَ فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا قَالَ أَبُو بَكْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا اجْتَمَعْنَا فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ))

[مسلم عن أبي هريرة]

فكان هذا الصحابي الجليل الذي يأتي مقامه بعد رسول الله منوعاً في عباداته، وهذا مما يقرب من الله عز وجل، ولعل أبلغ مثل أن النبي عليه الصلاة والسلام في بدر، حينما رأى الرواحل قليلة، لا تزيد عن ثلاثة، ورأى أصحابه يزيدون عن ألف، قال: كل ثلاثة على راحلة، وأنا وعلى وأبو لبابة على راحلة، ركب النبي عليه الصلاة والسلام ولما جاء دوره في المشي أراد أصحابه أن يبقى راكباً، فقال عليه الصلاة والسلام كلمة لا تنسى، قال:

((كُنَّا يَوْمَ بَدْرَ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ أَبُو لَبَابَةَ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ زَمِيلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَكَانَتْ عَقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَقَالَا: نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ فَقَالَ مَا أَنْتُمَا بِأَفْوَى مِنِّي وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا))

[أحمد عن عبد الله بن مسعود]

المؤمن قوي، حتى في جسده قوي، لأنّه يتبع سنة رسول الله، ولا أنا بأغنى منكم عن الأجر، هو سيد الخلق، وحبيب الحق، يطبع أن ينال أجراً عندما يمشي وصحابه يركبان، هناك شخص يدعو إلى الله، يترفع عن كل الأعمال الصالحة، يترفع عن عيادة مريض، عن إطعام مسجين، هو داعية كبير، ماله لهذه الأعمال، سيد الخلق، وحبيب الحق، قال: ما أنتما بأقوى مني على السير، ولا أنا بأغنى منكم عن الأجر، يجب أن تتّبع العادات، أن تتّبع الطاعات، أن تتّبع القربات، إطعام مسجين، أن ترشد رجلاً ضالاً في مكان، وأن تعتني بيته، وأن تعالج مريضاً، نوع بين العادات، وبين القربات، وبين الطاعات، فهذا يجعلك مع رب دائم.

كل عمل صالح قرض الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام، يقول عليه الصلاة والسلام، عن ابن الأحمر قال:

((لَقِيتُ أَبَا ذَرَ فَقُلْتُ لَهُ: بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ تُحَدِّثُ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِنَّهُ لَا تَخَالِنِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ فَمَا الَّذِي بَلَغَكَ عَنِّي؟ قُلْتُ: بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ ثَلَاثَةً يُحِبُّهُمُ اللَّهُ وَثَلَاثَةً يُشْنُوْهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: قُلْتُ: وَسَمِعْتُهُ قُلْتُ: فَمَنْ هُوَأَدِينٌ يُحِبُّ اللَّهَ؟ قَالَ: الرَّجُلُ يَلْقَى الْعُدُوَّ فِي الْفَتَنَةِ فَيُنْصَبُ لَهُمْ نَحْرَهُ حَتَّى يُقْتَلُ أَوْ يُفْتَحَ لِأَصْحَابِهِ، وَالْقَوْمُ يُسَافِرُونَ فَيَطْوُلُ سُرَاهُمْ حَتَّى يُحِبُّوا أَنْ يَمْسُوا الْأَرْضَ

فَيَنْزِلُونَ فَيَتَنَحَّى أَهْدُهُمْ فَيَصْلِي حَتَّى يُوقِظُهُمْ لِرَحِيلِهِمْ، وَالرَّجُلُ يَكُونُ لَهُ الْجَارُ يُؤْذِيهِ جِوارُهُ فَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا مَوْتٌ أَوْ ظُفْرٌ، قُلْتُ: وَمَنْ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَشْنُوْهُمُ اللَّهُ؟ قَالَ: التَّاجِرُ الْحَلَافُ أَوْ قَالَ الْبَائِعُ الْحَلَافُ وَالْبَخِيلُ الْمُتَنَانُ وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ)

[أحمد عن ابن الأحمسى]

هذا من أنواع القربات، وأنواع العبادات، وقد قال عليه الصلاة والسلام: أتحب أن يلين قلبك وأن تدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك، وتدرك حاجتك. أي لا تزهد في معروف، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق، ألط الأذى عن الطريق، دل الضال، هناك أعمال لا تُعد ولا تُحصى، هناك من يترفع عنها، ويرى أن مقامه فوق ذلك، إن النبي علمنا أن كل معروف صدقة، وأن كل عمل صالح صدقة، بل أن كل عمل صالح قرض الله عز وجل، في قوله تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢٤٥]

الخوف من سوء الخاتمة يدفع المسلم إلى الطاعة ويجدد الإيمان في القلب :

أيها الأخوة الكرام، أحد الوسائل التي تدفعنا إلى الله عز وجل، وإلى طاعته، وإلى القرب منه، الخوف من سوء الخاتمة، لأنه يدفع المسلم إلى الطاعة، ويجدد الإيمان في القلب، أما سوء الخاتمة فأسبابها كثيرة، يقول عليه الصلاة والسلام:

(مَنْ قُتِلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بَهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ شَرِبَ سَمًا فَقُتِلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّأُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقُتِلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخْلَدًا فِيهَا أَبَدًا)

[مسلم عن أبي هريرة]

هذا من سوء الخاتمة، هذا في صحيح مسلم، وهذا الرجل الذي كان في عسكر المسلمين يقاتل الكفار قتالاً لم يُقاتلته أحد، فقال النبي عليه الصلاة والسلام - وقد أطلعه الله على خاتمتها -: أما إنه من أهل النار، دُهش أصحابه، تتبعه رجل من المسلمين، فأصاب الرجل جرح شديد، فوضع سيفه بين ثدييه، وانكأ عليه، فقتل نفسه.

أيها الأخوة الكرام، يجب أن يخاف الإنسان من سوء الخاتمة، العبرة كيف يخرج من الدنيا، قال تعالى:

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾

[سورة الإسراء: ٨٠]

لكن أروع ما في هذه الآية أنه قال بعدها:

﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾

[سورة الإسراء: ٨٠]

يجب أن تكون الخاتمة خاتمة طيبة، العبرة بالخاتمة، الأمور بخواتيمها، من شب على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه، ومن مات على شيء حشر عليه.

أيها الأخوة الكرام، يروي بعض العلماء نماذج من سوء الخاتمة، قيل لبعضهم عند موته قل: لا إله إلا الله، فقال: لا أستطيع أن أقولها، لأن لحظة الوفاة فيما أعلم تلخص حياة الإنسان كلها، وقيل آخر، قل: لا إله إلا الله، فجعل يهذي بالغنا، وقيل لتاجر من أهنته تجارته عن ذكر الله وحضرته الوفاة، قيل له: قل لا إله إلا الله، فجعل يقول: هذه قطعة جيدة، هي تلاميذك، اشتراها، وقيل لبعض جنود الملك الناصر، قل: لا إله إلا الله، فقال الناصر مولاي، فأعاد عليه القول، وأبواه يكرر: الناصر مولاي، وقيل آخر، قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، وكذا، والبستان الفلانى افعلوا فيه كذا وكذا، وقيل لأحد المرابين، قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول، عشرة بأحد عشر، يكررها حتى مات.

لحظة مغادرة الدنيا تلخص حياة الإنسان :

أيها الأخوة الكرام، لحظة مغادرة الدنيا، تلخص حياة الإنسان كلها، بل إن بعضهم وهو على فراش الموت، قال: إن ربى قد ظلمني، فالخوف من سوء الخاتمة، والإعداد لهذه الساعة التي لا بد منها، ولا يستطيع أحد كائناً من كان أن ينجو منها، الناس لا يتقاوتون في تصديقهم لحدث الموت، فلا أحد في رأسه ذرة عقل بإمكانه أن ينكره، ولكن الناس يتقاوتون في مدى استعدادهم لهذه اللحظة التي لا بد منها.

وسائل تقوية الإيمان :

١ – الإكثار من ذكر الموت :

من وسائل تقوية الإيمان الإكثار من ذكر الموت، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((أكثروا ذكر هاذي الذات يعني الموت))

[الترمذى والنسانى عن أبي هريرة]

ويقول في حديث آخر:

((أكثروا ذكر هاذي الذات فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه))

[البزار عن أبي هريرة]

ما يجمعه الإنسان في عمر مديد يخسره في ثانية واحدة، إذا كان الإنسان خارقاً في النعيم، النعيم المادي، وذكر الموت، ضيق عليه سعة العيش، وإذا كان في ضيق من العيش، وقد وعده الله جنة تجري من تحتها الأنهر، إن تذكر الموت، يوسع عليه ضيق عيشه، يقول عليه الصلاة والسلام: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنها ترقق القلوب، وتندمع العين، وتذكر الآخرة،
ولا تقولوا هجراً))

[الترمذني عن سليمان بن بريدة عن أبيه]

وفي حديث آخر، يقول عليه الصلاة والسلام:
(زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ كُمُ الْآخِرَةِ))

[مسلم عن أبي هريرة]

وكان إذا دخل إلى مقبرة، يقول:
(السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا، والمستأخرين،
وإنما لكم إن شاء الله لاحقون))

[مسلم عن بريدة]

أيها الأخوة الكرام، على من عزم زيارة القبور أن يتأنب بآدابها، وأن يحضر قلبه في إتيانها، وأن يقصد بزيارته وجه الله، وإصلاح فساد قلبه، ثم يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه، ودرج من أقرانه، الذين بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافتقرت في القبور أجزاءهم، وترمل بعدهم نساؤهم، وشمل ذلّ اليتم أولادهم، وليتذكر آفة الانخداع بالأسباب، والرکون إلى الصحة والشباب، والميل إلى اللهو واللعب، وأنه لابد صائر إلى مصيرهم، فليتذكر في حال الميت، كيف تهدمت رجلاته، وسالت عيناه، وأكل الدود لسانه، وأبلى التراب أسنانه، هذا ما جاء في بعض الكتب، لبعض العلماء الأجلاء.

أيها الأخوة الكرام، من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء، تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط في العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء، تسويف التوبة، وترك الرضا بالكافاف، والتکاسل بالعبادة، وما يؤثر في النفس أيها الأخوة رؤية مشاهد المحترضين، فإن النظر إلى الميت، ومشاهدة سكراته، ونزواته، وتأمل صورته بعد مماته، ما يقطع عن النفوس لذتها، ويمنع الأجياف عن النوم، والأبدان من الراحة، ويعيث على العمل ويزيد في الاجتهاد، دخل الحسن البصري على مريض يعوده، فوجده في سكريات الموت، فنظر إلى كربه، وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك الله، فقال لهم: يا أهلاه، عليكم بطعمكم وشرابكم، والله لقد رأيت مصرعاً، لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

أيها الأخوة الكرام، ومن تمام الشعور بالموت الصلاة على الجنازة، وحملها على الأعناق، والذهاب بها إلى المقبرة، ودفن الميت، ومواراة التراب عليه، فهذا يذكر بالأخرة، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((عُودُوا الْمَرْضَى وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ))

[مسلم عن أبي سعيد الخدري]

وفي حديث آخر، قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ شَهَدَ الْجَنَائزَ حَتَّى يُصَلِّي فَلَهُ قِيراطٌ وَمَنْ شَهَدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيراطًا نَقِيلًا وَمَا الْقِيراطُ إِنَّمَا قَالَ مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ))

[البخاري عن أبي هريرة]

أيها الأخوة الكرام، بعض السلف الصالح، نصح رجلاً وقع في غيبة، فقال واعظاً له: اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك، اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك.

٢ – تذكر منازل الآخرة :

أيها الأخوة الكرام، ومن الأمور التي تقوى الإيمان تذكر منازل الآخرة، من صحت فكرته ظهرت له بصيرته نور في القلب، يبصر به الوعيد والجنة والنار، وما أعد الله في هذه لأوليائه، وفي هذه لأعدائه، كأنه يرى الناس وقد خرجوا من قبورهم مهطعين لدعوة الحق، وقد نزلت الملائكة، وأحاطت بهم، وجاء الله، وقد نصب كرسيه لفصل القضاء، وقد أشرقت الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب، وجيء بالنبيين، والكتاب، وقد نصب الميزان، وتطايرت الصحف، واجتمعت الخصوم، وتعلق كل غريم بغريمه، ولاح الحوض وأكوابه عن كثب، وكثير العطاش، وقل الوراد، ونصب الجسر للعبور، واجتمع الناس إليه، والمتناقضون فيها أضعاف أضعف الناجين، من اتقى الله عز وجل كشف الله عن بصيرته، فرأى ما لا يرى الناس، وسمع ما لا يسمعون.

٣ – التفاعل مع الآيات الكونية :

أيها الأخوة الكرام، ومن الأمور التي تجدد الإيمان التفاعل مع الآيات الكونية، روى البخاري ومسلم، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: ((مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهْوَاتَهِ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرَحُوا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَّةُ؟ فَقَالَ: يَا عَائِشَةَ مَا يُؤْمِنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ عَذَابٌ قَوْمٌ بِالرِّيحِ وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطَرُنَا))

[امتفق عليه عن أبي هريرة]

أيها الأخوة الكرام، وقد روى البخاري عن أبي موسى الأشعري أنه قال: "خُسفت الشمس فقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرْعَاعًا يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةَ".

٤ - ذكر الله تعالى :

أيها الأخوة، من أسباب تقوية الإيمان ذكر الله تعالى، وهو جلاء القلوب وشفاؤها، ودواؤها عند اعتلالها، وهو روح الأعمال الصالحة، وقد أمر الله به فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾

[سورة الأحزاب: ٤١]

ووعد بالفلاح من أكثر من ذكر الله، قال تعالى:

﴿وَذَكْرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[سورة الجمعة : ١٠]

وقال تعالى:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾

[سورة العنكبوت: ٤٥]

وقال لأحد أصحابه لما قال له لقد كثرت على شرائع الإسلام، فقال عليه الصلاة والسلام:

﴿لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾

[أحمد عن عبد الله بن بسر]

أيها الأخوة الكرام، قال تعالى:

﴿لَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد: ٢٨]

أي أن القلوب لا تطمئن إلا بذكر الله، ولا تسعد إلا بذكر الله، وصيغة هذه الآية صيغة حصر وقصر، لم يقل الله عز وجل تطمئن القلوب بذكر الله، فلو قال كذلك معنى هذا أنها تطمئن بذكر الله وبغير ذكر الله، أما حينما قال: لا بذكر الله تطمئن القلوب، فمعنى ذلك أن القلوب تطمئن حصراً بذكر الله.

أيها الأخوة الكرام، في القلب قسوة، لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله، ومعنى قسوة القلب أن تقرأ القرآن فلا تتأثر، أن تصلي فلا تتأثر، أن تذكر الله فلا تتأثر، معنى ذلك أن القلب قاس.

أيها الأخوة الكرام، جاء رجل إلى الحسن البصري سيد التابعين، قال، يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أذبه بالذكر، ذلك أن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل، وذكر الله شفاء القلب، ودواؤه، والغفلة مرضه.

أيها الأخوة الكرام، بذكر الله يصرع العبد الشيطان، إذا تمكن الذكر من القلب، ودنا منه الشيطان صرعة.

أيها الأخوة الكرام، أكثر من تمسمهم الشياطين هم أهل الغفلة، الذين لا يتحصنون بالأوراد والأذكار، ولهذا سهل عليهم تلبس الشياطين بهم، وبعض من يشكون من ضعف الإيمان تقل

عليهم بعض وسائل العلاج، كقيام الليل، ونواقل الصلاة، فيكون من المناسب لهم البدء بهذا العلاج، والحرص عليه، فيحفظون من الأذكار المطلقة ما يرددونه باستمرار، هذه الأذكار التي أثرت عن النبي صلى الله عليه وسلم، قوله: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قادر، وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأذكار الصباح والمساء، والنوم، والاستيقاظ، والرؤى، والأحلام، والأكل والخلاء، والسفر، والمطر، والأذان والمسجد، والاستخارة والمصيبة، والمقابر والريح، إلى آخر ما هنالك من كتب الأذكار، التي صحت عن رسول الله سيد الأئمّة.

٥ – مناجاة الله و الانكسار بين يديه :

أيها الأخوة الكرام، ومن وسائل تقوية الإيمان، مناجاة الله، والانكسار بين يديه عز وجل، وكلما كان العبد أكثر ذلة وخضوعاً كان إلى الله أقرب، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ))

[مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه]

لأن حال السجود فيها ذلة وخضوع ليست في بقية الهيئات، فإذا وضع العبد جبهته على الأرض، وهي أعلى شيء فيه، صار أقرب ما يكون من ربه، يقول بعض العلماء، بعض العلماء وهو ساجد، قال: أسألك بعزتك وذلي إلا رحمتي، أسألك بقوتك وضعفي، وبغناك عنِّي، وفقرِي إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير، ولا ملجاً ولا منجاً، منك إلا إليك، أسألك مسألة المساكين، أبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذلت لك قلبها.

فعندما يأتي العبد من باب الانكسار ينادي الواحد القهار يشعر أنه قريب من الله، وباب الانكسار باب ليس فيه ازدحام، هناك من يأتي من فوق، الله عز وجل كلما تذللت إليه أعزك، ورفعك بين الناس، وكلما تكبرت قضمك، لذلك قال الله عز وجل :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتُنْتُمُ الْفُقَرَاءَ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

[سورة فاطر: ١٥]

٦ – قصر الأمل :

ثم إن طول الأمل من أسباب ضعف الإيمان، وقصر الأمل من أسباب قوة الإيمان، قال تعالى، كلما دخل سيدنا عمر بن عبد العزيز إلى دار الخلافة قرأ هذه الآية:

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَعَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءُهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَهِنُونَ﴾

[سورة الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧]

وقوله تعالى:

﴿كَانَ لَمْ يَلْبُسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾

[سورة يونس: ٤٥]

قال بعض السلف لرجل: صلّ بنا الظهر، قال الرجل: إن صلبيت بكم الظهر لن أصلّي بكم العصر، فقالوا له: وكأنك تؤمل أن تعيش لصلاة العصر.

حدثني أخ كريم قال لي: والله صلبت الفجر مع أحد الأصدقاء، وكان ذا دعابة، ولا يشكوا شيئاً إطلاقاً،رأيته في رابعة النهار، في وقت الظهيرة في موقف سيارات، الشيء الذي لا يصدق أنني صلبت العصر عليه، في يوم واحد صلّى معه الفجر، ولمحه وسط النهار، وصلّى عليه العصر. أيها الأخوة الكرام، نعوذ بالله من طول الأمل، من قصر أمله حسن عمله، التفكير في حقاره الدنيا حتى يزول التعلق بها من قلب العبد، قال تعالى:

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾

[سورة آل عمران: ١٨٥]

وقال عليه الصلاة والسلام:

((الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونُ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَّهُ أَوْ عَالِمًا أَوْ مُتَعْلِمًا))

[الترمذني عن أبي هريرة]

٧ – تعظيم حرمات الله :

ما يقوي الإيمان أيها الأخوة تعظيم حرمات الله، يقول الله تعالى:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾

[سورة الحج: ٣٢]

وحرمات الله هي حقوق الله سبحانه وتعالي، قد تكون في الأشخاص، وقد تكون في الأمكنة، وقد تكون في الأزمنة، فمن تعظيم حرمات الله في الأشخاص القيام بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم، تطبيق سنته تعظيم لحرمات الله عز وجل، ومن تعظيم حرمات الله في الأمكنة تعظيم الحرم مثلاً، ومن تعظيم حرمات الله في الأزمنة تعظيم شهر رمضان، ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه، ومن تعظيم حرمات الله عدم احتقار الصغار، فقد روى عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إِيَّاكُمْ وَمُحَرَّكَاتِ الذُّنُوبِ))

[أحمد عن عبد الله بن مسعود]

هذا الذي يقول: ذنب بسيط، هذه من اللهم، كلما احقرت ذنباً كبر هذا الذنب عند الله، إذا كبر عندك هو عند الله صغير، أما إذا احقرته فهو عند الله كبير، لا تنظر إلى صغر الذنب، ولكن انظر على من اجترأت، يقول عليه الصلاة والسلام،

((إِيَّاكُمْ وَمُحَرَّكَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعُنَّ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكُنَّهُ))

يعني الشيطان حينما أغري الإنسان ليكفر فرآه مستعصياً، أغراه أن يشرك، فرآه موحداً، أغراه أن يرتكب الكبيرة، فرآه على طاعة، أغراه بالبدعة، فرآه على سنة، أغراه بالصغيرة، فرآه على ورع، أغراه بالمباحات، حتى يصل إلى محرقات الذنوب، هذه لا قيمة لها، الإنسان طبيعته حركية، فإذا اجترأ على صغيرة، في اليوم التالي سيجرئ على أكبر منها، وهكذا، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

(إِيَّاكُمْ وَمُحَرَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعُنَّ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكُنَّهُ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا كَمَثَلَ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَنَاءٍ فَحَاضَرَ صَبَيْعُ الْقَوْمِ فَجَعَلَ الرَّجُلَ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا فَأَجْجَجُوا نَارًا وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا))

[أحمد عن عبد الله بن مسعود]

أي هذه النار العظيمة من أعواد صغيرة، ومشكلة المسلم اليوم يقول لك: أنا لا أقتل، ولا أزني، ولا أسرق، ولا أشرب الخمر، جيد، هذه كبار، أما هذه الصغار، كإطلاق البصر، والمصافحة، والغيبة، والنسمة، يتوهمنها صغار، وهي عند الله كبار، وهذا الوهم، أنا لا أفعل الكبار، هناك صغار هي في حكم الكبار تماماً، مثلاً يذكر بعض العلماء: من يستعير كتاباً، ولا يرجعه إلى صاحبه هذا ذنب، ذنب كبير، منعه الكتاب وهو كتابه، منعه أن ينتفع به، وأنت لم تقرأ به.

٨ – الولاء و البراء :

من أسباب قوة الإيمان أيها الأخوة والتي تجدد الإيمان في القلب الولاء لأهل الإيمان، ولو كانوا فقراء، وضعفاء، والبراء من أهل الكفر والعصيان، ولو كانوا أغنياءً، وأقوياءً، ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الولاء والبراء أصل من أصول الدين، يجب أن تحب المؤمنين، وأن تتبأ من الكفار، والمنحرفين، أما حينما تميل إلى أهل الكفر، لمنفعة وصلة منهم، فهذا نوع من الشرك.

٩ – التواضع :

أيها الأخوة الكرام، التواضع له دور فعال في تقوية الإيمان، يقول عليه الصلاة والسلام:
((الْبَدَأَةُ مِنِ الْإِيمَانِ))

[أحمد عن أبي أمامة]

أحياناً يلبس ثوباً متواضعاً، يقوم بعمل، يكنس داره، يصغي الإناء للهرة، يطلب شاته، القيام بأعمال متواضعة، أو أن ترتدي ثوباً بسيطاً ليس فيه بهرج، وليس فيه فخامة، هذا من الإيمان، وما يقوى الإيمان في القلب من ترك اللباس تواضعاً لله عز وجل وهو يقدر عليه، دعاه الله يوم القيمة على رؤوس الخلق، حتى يخبره من أي حل الإيمان شاء لبسها.

١٠ - محبة الله و الخوف منه :

أما أعمال القلوب التي تقوى الإيمان، فمحبة الله، والخوف منه، ورجاؤه، وحسن الظن به، والتوكيل عليه، والرضا بقضائه، وقدره، والشكر له، والصدق معه، واليقين به، والتقة به، والتوبة إليه، هذه كلها من أعمال القلوب، التي تقوى الإيمان.

١١ - محاسبة النفس حساباً دقيقاً :

ثم إن الله عز وجل قال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدِ﴾

[سورة الحشر: ١٨]

محاسبة النفس محاسبة دقيقة، كما قال سيدنا عمر: حاسبو أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وإن التقى أشد محاسبة لنفسه من شريك شحيح، وقال بعض العلماء: هلاك النفس من إهمال محاسبتها، ومن موافقتها، واتباع هواها، أيها الأخوة الكرام عود على بدء، يقول عليه الصلاة والسلام: ((إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألو الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم))

[الحاكم عن عبد الله بن عمرو]

يا أيها الأخوة الكرام، كل هذه الخطب لا تجدي نفعاً إن لم تكن محل التطبيق، إن لم نبادر إلى تطبيق مضامينها، لأن العلم ليس هدفاً بذاته، العلم وسيلة، وليس غاية، وكل علم وبال على صاحبه، ما لم يعمل به.

حاسبو أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلانتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولـي الصالـحين، وأـشهد أن سـيدـنـا مـحـمـداً عـبـدـه وـرـسـولـهـ، صـاحـبـ الـخـلـقـ العـظـيمـ، اللـهـمـ صـلـ وـسـلـ وـبـارـكـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ.

خطبة قاضي دمشق محي الدين القرشي يوم فتح القدس على يد صلاح الدين :

أيها الأخوة الكرام، لا أدرى لماذا هفت نفسي إلى شيء من التاريخ، ليس بعيد جداً، حينما نعود عبر بعد الزمان إلى يوم الجمعة، الواقع في السابع والعشرين من شهر رجب، عام خمسة

وثلاثة وثمانين للهجرة، الموافق للثاني من تشرين الأول، عام ألف ومئة وسبعة وثمانين للميلاد، في هذا اليوم تم فتح مدينة القدس من قبل المسلمين، وبقيادة البطل صلاح الدين، وتم تحريرها من أيدي الغزاة الطامعين، وها نحن نرى القلوب قد امتلأت بالفرح، والوجوه قد عمها البشر، ونسمع الألسنة، وقد لهجت بالشكر، لقد علت الرايات، وعلقت الفناديل، ورفع الأذان، وتلقي القرآن، واصطفت الأرجل للعبادات، وأقيمت الصلوات، وأديمت الدعوات، وتجلت البركات، وانجلت الكربات، وزال العبوس، وطابت النفوس، وفرح المؤمنون بنصر الله، رب هؤلاء الذين انتصروا هو ربنا، وقرآنهم قرآننا، ودينهم ديننا، ونبيهم نبينا، وسنن الله هي هي لم تتبدل، ولم تتغير، ها نحن أولاء ندخل المسجد الأقصى، فإذا المسلمين يجلسون على الأرض، لا تتفاوت مقاعدهم، ولا يمتاز أميرهم عنهم، وقد خشعت جوارحهم، وسكنت حركاتهم، هؤلاء الذين كانوا فرساناً في أرض المعركة، استحالوا رهباناً خشعاً، لأن على رؤوسهم الطير، في حرم المسجد، وهذا هو خطيب المسجد محي الدين القرشي، قاضي دمشق، يصعد المنبر، ويلقي خطبه، ولو أقيمت على رمال البيد لتحركت، وانقلبت فرساناً، ولو سمعتها الصخور الصماء لانبرقت فيها الحياة، لقد افتحها بقوله تعالى: **فَقْطَعَ دَابِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**.

نرجو الله سبحانه وتعالى أن يعيده هذه الانتصارات، رأينا بعضها، نرجو الله أن يعيده هذه الانتصارات لهذه الأمة، ها نحن أولاء أيها الأخوة، نستمع معكم إلى فقرات من خطبته:
"أَيُّهَا النَّاسُ أَبْشِرُوكُمْ بِرِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى، الَّذِي هُوَ الْغَاِيَةُ الْقَصُوِيُّ، وَالدَّرْجَةُ الْعُلِيَا، لَمَا يُسْرِهِ اللَّهُ عَلَى أَيْدِيكُمْ مِنْ اسْتِرْدَادِ هَذِهِ الْضَّالَّةِ مِنَ الْأَمْمَةِ الْضَّالَّةِ، وَرَدَهَا إِلَى مَقْرَبَهَا مِنَ الْإِسْلَامِ، بَعْدَ ابْتِدَالِهَا فِي أَيْدِي الْمُعْتَدِلِينَ الْعَاصِبِينَ قَرِيبًا مِنْ مِئَةِ عَامٍ، وَتَطْهِيرِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَذْنَ اللَّهُ أَنْ يُرْفَعَ، وَيُذَكَّرَ فِيهِ اسْمُهُ، مِنْ رِجْسِ الشَّرَكِ وَالْعُدُوانِ، - ثُمَّ قَالَ مَحْذِرًا - إِيَّاكُمْ عَبَادُ اللَّهِ أَنْ يَسْتَرِلَّكُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَخِيلُ لَكُمْ أَنْ هَذَا النَّصْرُ كَانَ بِسَيِّوفِكُمُ الْحَدَادُ، وَخَيْولِكُمُ الْجَيَادُ، لَا وَاللَّهُ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. لَا بُدُّ مِنَ الصلْحِ مَعَ اللَّهِ، إِنْ ذُنُوبُنَا أَخْطَرُ عَلَيْنَا مِنْ عَدُونَا، إِنْ ذُنُوبُنَا أَخْطَرُ عَلَيْنَا مِنْ عَدُونَا،
قَالَ تَعَالَى :

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيَّاً﴾

[سورة مريم: ٥٩]

لا والله ما النصر إلا من عند الله، فاحذروا عباد الله، بعد أن شرفكم الله بهذا الفتح الجليل أن تترفوا كبيرة، انصروا الله ينصركم، خذوا في حسم الداء، وقطع شأفة الأعداء.
أيها الأخوة الكرام، أكرر ثانية، ربهم هو ربنا، وإلههم هو إلينا، ودينهم هو ديننا، وكتابهم هو كتابنا، ونبيهم هو نبينا، والسنة الكبرى الإلهية هي هي، لم تتبدل، ولم تتغير، قال تعالى:
﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾

[سورة الحج : ٤٠]

لا سبيل إلا أن نعود إلى الله، حتى ينصرنا الله نصراً عزيزاً، أذاقنا بعض أنواع النصر، فيما مضى.

حاجة النصر إلى شيئين ؛ إيمان عميق و إعداد :

أيها الأخوة الكرام، لابد من الصلح مع الله، لابد من طاعة الله، لابد من التوحيد، لابد من أن نتبرأ من كل جهة قوية نتأمل من أن تعيننا على عدونا، ما من أحد ينصرنا إلا الله، ولا ناصر إلا الله، وما النصر إلا من عند الله، ونسأل الله أن يعيننا على أن ننتصر على أنفسنا، حتى يستحق أن ينصرنا على عدونا، والله الذي نراه ونسمعه في الأخبار شيء يتقطع له القلب، ويدمى له الفؤاد، ما مرت على الأمة فترة كهذه الفترة، نحن في هذا الشعور الذي عم كل الناس، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يلهم كلام منكم أن يعود إلى الله، أن يعود إليه تائباً منيناً، أن يقيم الإسلام في بيته، وأن يقيمه في عمله، وأن يكون صادقاً أميناً حتى يستحق نصر الله عز وجل، قال تعالى:

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾

[سورة آل عمران: ١٢٦]

هكذا دخل أجدادنا بيت المقدس وفتحوه، وأعادوا له مكانته التي أراد الله عز وجل، وأرجو الله سبحانه وتعالى بتوبتنا، وصلاح أمرنا، وصلاحنا مع ربنا، وتعاوننا، وتكلانا، أن يعبد هذه الأيام المشرفة، أنا لست من يخبر الناس بالماضي المجيد، من صفات الأغيبياء أنهم يتفاخرون بماضيهم، لابد من أن نحسن واقعنا المر، لابد من أن ببحث عن الأسباب الحقيقة التي أدت إلى ما نحن عليه، لابد من أن نصلح مع الله، هؤلاء العرب الذين شرفهم الله بالإسلام كانوا رعاة للغنم، فصاروا بإسلامهم قادة للأمم، كانوا رعاة للغنم فصاروا قادة للأمم، بفضل طاعتهم لله عز وجل، ومع ذلك قال تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

[سورة الأنفال : ٦٠]

النصر يحتاج إلى شيئين، إلى إيمان عميق، وإلى إعداد، لا أقول إعداد القوة المكافئة، هذا فوق طاقتنا، إعداد القوة المتاحة، أن نؤمن بالله، وأن نوحده، وألا نلعن الآمال على سواه، ثم نعد القوة المتاحة، فمشكلتنا مع أعدائنا أنها الأخوة كما ترون وتسمون مشكلة نكون أو لا نكون، مشكلة حياة أو موت، ولا يمكن أن ننتصر إلا بمعونة الله عز وجل، والله عز وجل لا ينصرنا إلا بطاعته، وطاعة نبيه، فهذا هو الطريق الواضح جداً أنها الأخوة، نحن وإن رأينا بعض النصر، الذي نتمناه هو النصر الحاسم، قال تعالى:

﴿وَيُنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾

[سورة الفتح: ٣]

النصر الحاسم، النصر النهائي... .

والحمد لله رب العالمين